الكرمل

أبحاث في اللغة والأدب

العدد ٢٠

(١٩٩٩)

مذكرات دجاجة بالانجليزية

Memoirs of a Hen (Mudhakkirāt Dajājah). A Present-Day Palestinian Fable by Isḥāq Mūsā al-Ḥusainī. Translated from the Arabic with a critical introduction by George J. Kanazi. Toronto, Ontario, York Press, 1999.

وقع كتاب **مذكرات دجاجة** للكاتب والباحث المقدسي إسحاق موسى الحسيني في خضم الصراع اليهودي الفلسطيني حتى قبل نشره سنة ١٩٤٣ في القاهرة. وقد بدت لمعظم النقاد القصة التي بطلتها الدجاجة المثالية، أنها قصة رمزية لها رابط بالقضية الفلسطينية. فأُضيف النص من خلال عملية تدوين النصوص الأدبية الفلسطينية إلى مجموعة النصوص التي تشكل باكورة الأدب الفلسطيني الناشئ. وتعبر القصة، حسب رأي هؤلاء النقاد، عن الموقف الانهزامي للمؤلف تجاه الهجرة اليهودية إلى فلسطين، إذ قارنوا بين نهاية القصة التي تفيد أن أسرة الدجاج تهجر مأواها وتتشتت في أنحاء العالم بعد أن "احتلت" أسرة الدجاج الغريبة المأوى من جهة، وبين وصول المهاجرين اليهود من أوروبا إلى فلسطين من جهة أخرى. وهذا بالرغم من تصريح المؤلف الصريح بأن كتابه ليس له علاقة بالقضية، وإنما هو قصة لها أبعاد إنسانية عامة.

وقد تبنى الباحث والاستاذ جورج قنازع – من جامعة حيفا – "قضية" **مذكرات دجاجة** منذ وقت طويل وقدم الآن ترجمة النص إلى اللغة الإنجليزية. فترجمته دليل واضح على الفهم العميق للنص ومستوياته وقد نجح المترجم في نقل النص إلى الإنجليزية بأسلوب يعكس جو النص العربي؛ ومن الميزات الكثيرة للترجمة هذه أن المترجم امتنع عن تعريب اللغة المترجم إليها. وبفضل جهود جورج قنازع يستطيع القارئ الإنجليزي أن يتعرف على هذا النص الذي يتميز، إلى جانب أبعاده الجمالية، بأهمية خاصة في خطاب الأدباء والنقاد العرب والفلسطينيين والذي دارت ولا تزال تدور حوله مناقشات كثيرة.

يستعرض الباحث في مقدمته لترجمة **المذكرات** تأريخ تلقي النص عند النقاد كنص يرمز إلى القضية الفلسطينية، ابتداء بطه حسين الذي قد فهم القصة في هذا الإطار كما تفيد به

مقدمته للطبعة الأولى للمذكرات، إلى شمعون بلاص الذي ناقشها في بحثه حول الصراع اليهودي-العربي في الأدب العربي (ص ١٢-١٤). وبصدد التفسير السياسي للنص يدعو قنازع إلى إعادة تقييمه. فتفيد نتائج تحليل الأستاذ قنازع المستند على محتوى القصة أن **مذكرات دجاجة** قصة طوباوية تعرض للقراء المثل العليا وأنها "مساهمة عربية فلسطينية معاصرة للبحث الإنساني الأبدي عن الحلم المثالي" (ص ٦). ويقارن جورج قنازع المذكرات بالنصوص الأخرى ذات الطابع الطوباوي في الأدب العربي، مثل **آراء أهل المدينة الفاضلة** للفارابي **وحي بن يقظان** لابن طفيل. وقد نشر الباحث مقالا حول الموضوع نفسه في **الكرمل** قدم فيه تفصيلات حجته وحلل مقومات المثل المعروضة في القصة.[٦]

وبالرغم من النقاط التي يتطرق اليها جورج قنازع في مقدمته للمذكرات ما تزال بعض الأسئلة مطروحة، ومنها تعريف الجنس الأدبي للمذكرات. ويلفت استخدام قناع الحيوان، أي الدجاج، النظر إلى الخرافات التي يتم فيها عادة توظيف الأقنعة الحيوانية لتشخيص الأبطال مثل ما نجده في خرافات **كليلة ودمنة** لابن المقفع أو خرافات أيزوب. وتتفق **المذكرات** والخرافة في خلق عالم خيالي يعكس العالم الحقيقي ويصور مستوى انطولوجيًا، أو وجوديًا، خاصًا تتواجد فيه الشخصيات الحيوانية واضحة الخصال. ولا نستبعد ان قناع الدجاجة يرمز إلى الشخصية الضعيفة بدنيًا وليس لها إلا العقل كوسيلة لمواجهة مبدأ القوة. أما الفرق الجوهري فيكمن في أن الخرافة التقليدية تصور الحكمة الإنسانية الأبدية، بينما المذكرات تعنى بعرض التطور المؤدي إلى المثل العليا أكثر من تلخيص الحكمة أو تصويرها. وإلى جانب الخرافة يمكن مقارنة النص بالمذكرات الخيالية. وربما دفع المؤلف اهتمامه بتطور البطلة وتبلور مبادئها إلى اختيار شكل المذكرات لقصته باعتباره الجنس الأدبي المناسب لعرض التطور الفكري للرواية بضمير المتكلم. أما المقارنة بين **المذكرات** والطوباوية كجنس أدبي، كما يقترحها جورج قنازع، فهي عملية

راجع: جورج قنازع، "قراءة جديدة لكتاب الدكتور إسحاق موسى الحسيني <<مذكرات دجاجة>>"، **الكرمل – أبحاث في اللغة والأدب**، العدد ٢، ١٩٨١، ص ١١٧-١٣٦.

صعبة ولا يمكننا حاليا إلا أن نقدم بعض المقترحات التي قد تساعد في تطوير حجة الباحث. ويمكننا إثبات التشابه البنيوي بين علاقة عالم الدجاج بالعالم الإنساني في المذكرات وبين علاقة العالم الطوباوي بالعالم الأصلي في النص الطوباوي. لكن إذا استعرضنا النصوص الطوباوية التقليدية، بما في ذلك النصوص التي ذكرها جورج قنازع، نجد بعض الفروق الجوهرية. فمقدمة المؤلف للنص تحل محل موضوع السفر في القصة الطوباوية الذي يربط بين العالم الاصلي والعالم المثالي، إلا أن العالم الذي تعيش فيه الدجاجة ليس بعالم منعزل تماما عن العالم الانساني. كما أن اللقاءات المتكررة بين العالمين تساعد على إبراز التطور المتصاعد لـمُثُل الدجاجة ومبادئها. ويصور النص العالم الإنساني كأنه تحكم فيه قواعد تناقض المبادئ المنشودة، كما أن عالم الدجاج لا يخلو من "المبادئ السيئة" ايضا. ويمكننا ان نسمي عالما خياليا يصور التطور إلى الأسوأ بـ "ديسطوبية" (Dystopia)، أي مكان السوء الذي هو عكس الطوباوية. وتؤثر جدلية العالمين على تطور مبادئ البطلة. وقد يكون من المناسب ان نصف عمل الدجاجة بـ "العمل الطوباوي". أما ما يتعلق بتحديد جنس النص الأدبي، فيمكن اعتباره خليطا من الأجناس الأدبية وفيه عناصر لكل من المذكرات والخرافة والرواية. ويحتمل أن غموض النص الذي لم يتعود النقاد على جنسه الأدبي قد ساهم في سوء التلقي له، عندما اتفقوا، وهم في الحاجة إلى تطوير الرموز الوطنية، على تفسير الكتاب تفسيرًا سياسيًا. وذلك في أوقات الصراع العنيف الذي يفضل المشتركون فيه الشعارات الصريحة والتي لا تصلح، لسوء الحظ، لإمعان النظر في النصوص الغامضة ذات المستويات الفكرية المتعددة.[٧]

كريستيان تسيسكا

---

[٧] وحتى بعد نشر مقال جورج قنازع، نجد تأييدا واسعا للتفسير السياسي لـ **مذكرات دجاجة**. قارن مثلا الباب حول الكتاب في أطروحة عادل الأسطة الذي لم يشر إلى ما كتبه الاستاذ قنازع. راجع: Adel al-Osta, Die Juden in der palaestinensischen Literatur zwischen 1913 und 1997. Berlin, Laus Schwarz Verlag, 1993 (Islamkundliche Untersuchungen: 156) ص ٦٢-٦٨.